

القوة الضعف

حين يعترف إنسان بأنه ليس الأقوى ولا الأذكى بين أقرانه، فإنه يعترف ضمناً بأنه ليس بإمكانه فعل كل شيء يريد. لكن اعتراف إنسان بمحدودية قدراته على الفعل، يدفع الغير من الناس إلى التعاطف معه، وابداء الاستعداد لمساعدته ودعمه، وهذا يفتح المجال أمامه كي ينجح في فعل بعض ما يريد من أشياء. وكلما حصل إنسان على تعاطف الآخرين ودعمهم، كلما كان بإمكانه أن يفعل أكثر، وكلما فعل أكثر مما تستطيع قدراته أن تفعل بمفردها، كلما شعر بالمزيد من الرضا عن النفس والسعادة في الحياة.

لكن حين يعتقد إنسان بأنه الأقوى والأذكى، وأنه قادر على فعل كل شيء يريد، ويجاهر برأيه أمام الناس، فإن موقفه هذا يتسبب في معظم الأحيان والحالات في إثارة حسد الآخرين وغيرتهم. وهذا من شأنه أن يدفع غالبية المقربين منه إلى التآمر ضده، والعمل على تعطيل مشاريعه، والتأكد من أن الفشل حليفه. لذلك حين يدعي إنسان بأنه الأقوى والأذكى فإنه يقوم، من حيث لا يدري، بتفويت فرص كثيرة على نفسه، وحرمانها من تحقيق أي شيء يذكر في الحياة، ما يجعل حياته تفتقد الرضا عن النفس والسعادة.

هناك البعض من الناس يدركون أن إمكانياتهم الجسدية أو العقلية محدودة مقارنة مع غيرهم، ما يجعلهم أقل قدرة على التنافس وتحقيق انجازات مساوية للغير بمفردهم. لكنهم بدلاً من الاعتراف بمحدودية إمكانياتهم الذاتية، وتفوق بعض الزملاء عليهم واحترام ما لدى أولئك الزملاء من قدرات مميزة، فإنهم يتجهون نحو حسد الآخرين والغيرة منهم والعمل على التقليل من شأنهم، ما يتسبب في تسميم علاقات الصداقة والزمالة، ويقود أحياناً إلى تدميرها. وهكذا، بدلاً من الاعتراف بمحدودية قدراتهم الذاتية في مقابل الحصول على تعاطف زملائهم ودعمهم لهم، يحصل الحاسدون على خسارة الصداقة والتعاطف والدعم الذي يكونون أحياناً في أمس الحاجة إليه.

إن محاولات التقليل من شأن الأشخاص المتميزين علمياً أو ثقافياً أو أخلاقياً أو لياقة بدنية، لا يتم إلا من خلال التشكيك في علوم وكفاءات وقيم ومواقف الشخص المتميز. وهذا عمل سيئ يسيء إلى الشخص المعني والشخص الذي يقوم بمحاولات الطعن والتشويه والتشكيك في مصداقية غيره من الناس المتميزين، ويلحق الضرر بالمجتمع. إن هذا النوع من التصرف هو محاولة للتنافس بين شخصين غير متكافئين من حيث المؤهلات التي يعتبرها المجتمع ذات قيمة مادية أو أدبية عالية... منافسة يبادر إلى لقيام بها الشخص

الضعيف على أمل أن ينجح في صرف نظر المجتمع عما يعانیه من ضعف ونقص، ما يجعلها منافسة سلبية عقيمة تقوم على الهدم وليس البناء، أي هدم سمعة المتميز ومكانته في المجتمع. وهذا من شأنه تكاثر حالات الفشل والفاشلين، وتراجع حالات النجاح والناجحين، وحرمان المجتمع من قيادات فكرية وثقافية وأخلاقية تثري حياته، وربما يكون في أمس الحاجة إليها، ككل المجتمعات العربية التي تعاني من أزمة ثقافية حادة بسبب تلوث القيم، وتقدم العادات والتقاليد، وتختلف طرق التفكير، وغياب الحرية والعدالة.

التواضع هو طريق النجاح في كل مجتمع عاقل، والعنجهية هي طريق الفشل في كل مجتمع واعى. أما الجهل فهو الضمانة الأكيدة لتقويض قدرة الإنسان على معرفة النجاح من الفشل، والصواب من الخطأ. ولما كانت العنجهية هي خليط من الجهل وقوة السلاح أو الجهل وقوة المال، فإن عقل العنجهي يتوقف عن التفكير، وقلبه يتوقف عن الإحساس، وضميره يتوقف عن الشعور. العنجهية التي يتصف بها أثرياء الخليج العربي هي خليط من الجهل وقوة المال، فيما تتكون العنجهية التي يتصف بها الأمريكي من الجهل وقوة السلاح، وكلاهما مدمر لإنسانية الإنسان. إذ فيما يتصرف العنجهي الخليجي على أساس أن باستطاعته شراء كل شيء وكل إنسان بماله، يتصرف العنجهي الأمريكي على أساس أن باستطاعته السيطرة على كل شيء وكل إنسان بقوة السلاح. وفيما يتجه العنجهي عامة إلى الترفع عن عامة الناس والعمل على ايدائهم، تتسبب أفعاله ومواقفه في جعل الفشل العظيم مصير المجتمع الذي يسيطر عليه ويوم بإدارته.